

لغة العلم المعاصر

للأستاذ الدكتور ابراهيم مذكور

رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

المصطلح العلمي أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء، وليس ثمة علم بدون قوالب لفظية تؤدبه. ويوم ان ينهض العلم ويخطو الى الامام، تنمو مصطلحاته، وتدق ألفاظها، وتحدد معانيها. واذا كانت العلوم في سير مطرد، وحركة دائبة، فان مصطلحاتها لا بد أن تلاحقها وتتابع السير معها، ولا يمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون نهضة لغوية واصطلاحية تسايرها جنباً الى جنب.

وقد كان للعرب علوم يتعهدونها ويتدارسونها، فأقاموا من أجلها المعامل والمراصد، وتتبعوا الظواهر، وأجروا التجارب، وانتهوا الى كشف لم يسبقوا اليها. وكانت لهم لغة علمية متنوعة متجددة، فلكل علم مصطلحاته، واذا ما رأوا أن مصطلحاً لا يؤدي معناه أداء كاملاً عدلوا عنه الى ما هو أدق وأضبط. ولم يبالوا بأن يكون المصطلح عربياً أصيلاً أو مستعرباً دخيلاً، وربما فضلوا اللفظ الاجنبي اذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الاداء ولم يفهم أن يسجلوا مصطلحاتهم في معاجم خاصة وتوافر بذلك للعربية مجموعة قيمة من «المفردات» و «التعريفات» ويكفي أن نشير من بينها الى «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (٩٩٧م)، و «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (١٧٤٥م).

ويوم أن ركذ البحث العلمي في الاسلام، ركذت لغته معه، فأهملت المعامل ونسيت المصطلحات. ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة على فترة، وكان رجالها الأول - في القرن التاسع عشر - لم يكونوا على علم بماضيهم، ولا صلة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة. فلم يستفيدوا كثيراً من هذا التراث، وأخذوا يؤدون الحقائق العلمية أداء فيه كثير من التعجل والخطأ. وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ويصلحوا هذا الخطأ. وأريد بالمجمع في القاهرة أن يساهم في ذلك بنصيب، ومن أهم اغراضه أن

يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم، أو مطبوعات خاصة، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتراكيب.

ووضع المصطلح العلمي أمر غير يسير، فهو يتطلب تمكنا من المادة، وفقها في اللغة، واحاطة بالتاريخ، ووقفا على النشاط العلمي المعاصر. وللزمن والاستعمال شأنهما في وضوح أي مصطلح واستقراره. ومنذ أن قام «مجمع القاهرة» وهو يولي المصطلحات العلمية كبير عنايته، ففعد القواعد لوضعها، ووجه النظر الى تاريخها، ويسر السبل للحصول عليها. ودعا الخبراء والمختصين لتسجيل ما استقر رأيهم عليه منها، وناقشه طويلا في مجلسه ومؤتمره. وما اخذ به قيده في محاضره، ونشره في مجلته ليفيد منه القراء في العالم العربي بأسره.

× × × × × × × × × × × × × × × ×

أصبحنا وفي العلم جديد دون انقطاع، ولم تستحث خطاه قط بقدر ما تستحث اليوم. فالمراكز القومية للبحوث العلمية ينافس بعضها بعضا. والمعامل والمختبرات تملأ الدنيا وهذه كلها تبحث وتنقب في الارض والسماء، في البحار وعالم الفضاء ولا يقنع العلماء بالكشف عن حقائق جديدة، بل يحرصون على أن يعبروا عنها، والا كتموا علمهم ولم يفد الناس منه. فلفة العلم في سير مطرد وثروة متزايدة، والمعاجم العلمية يلاحق بعضها بعضا لتدارك ما فات واستكمال ما جدّ.

ولم يكن بد لمجمع اللغة العربية في القاهرة ان يتابع هذا السير، فقد أدت الفصحى قديما العلم خير أداء، وهي كفيلة بأن تؤديه اليوم في ضبط ودقة. وتكاد المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية تكون الشغل الشاغل للمجمعين، يتدارسونها في لجانهم، ويقفون عليها كثيرا في جلساتهم، وكل همهم أن يلائموا بين مقترحات المختصين وأصول اللغة وروحها. وقد سبق للعرب أن اشتقوا ونحتوا، واستعانوا بالمجاز اللفظي لاداء شتى المعاني، ولم يترددوا في ان يعربوا ويخضعوا المعربات لصيغهم وأوزانهم. ولا تضيق لغتنا ذرعا بلفظ مهما كان مصدره، ولا بتركيب مهما كانت غرابته.

مظاهر الحياة كلها. فنحس به في الحقل والمنزل، ونخضع له في المصنع والمتجر، ونعيش معه في المدرسة والمعهد. ولا سبيل لنا الا أن نستخدم ألفاظه ونردد مصطلحاته، ان شئنا أن نفهم ونتفاهم، وننعم بمستحدثات الحضارة والمدنية.

تلك ظاهرة لا سبيل الى انكارها، وفي كل يوم يغزو العلم ميادين جديدة، ويهدى الى كشوف ومبتكرات لا عهد لنا بها. وتسير لغته معه أينما سار، فللحياة العامة فيها نصيب، ولها في الفن والادب شأن واضح، وفي الاقتصاد والسياسة مجال ملحوظ، وعليها تقوم الدراسات العلمية والفلسفية على اختلافها. ولا بد لنا من ملاحظتها في سيرها الحديث، وربطها باللغة العامة.

× × × × × ×

وقيمة لغة العلم في أن يلتقي عندها العلماء، وهي ولا شك اصطلاح وقد قيل قديما: «لا مشاحة في الاصطلاح» ومن العيب أن نلتقي عند اللفظ الاجنبي ثم نختلف في مقابله العربي. واستقرار الاستعمال وشيوعه وذيوعه يمنح المصطلح العلمي قوة تحقق فيه أسباب البقاء والحياة. والمعجمات العلمية وسيلة ناجعة من وسائل البحث والدرس وعليها أن تأخذ باللفظ الشائع والاستعمال السائد. وأذكر تجربة فرنسية بدأت في فجر هذا القرن، وحاولت أن تجمع كلمة المختصين على المصطلح الفلسفي وقد اضطلع بها جمع من كبار الفلاسفة الفرنسيين واخرجت معجم «لاند» الذي لا يزال حجة حتى الآن. وعلى هيئاتنا العلمية والثقافية أن تفيد من هذه التجربة.

وتعد معجمات متخصصة يقرها المشتغلون بالعلم في كل مادة وتلك رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافية والمجامع اللغوية والعلمية، واتحاد المجامع واتحاد الجامعات وبذا نحقق وحدة المصطلح العلمي في العالم العربي جميعه كما حققها أسلافنا في النهضة الاسلامية الكبرى. (١)

(١) ألقى هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١-٢٥/٩/١٩٨٥ م.